من واقع الحياة

للروائي الانجليزي : د. سومرست موم
ترجمة : كمال السيد

اعتاد « هنري جارنيت » أن يذهب الى النادي كل مساء ، قبل أن يعود الى بيته حيث يجتمع برفاقه فيلعب معهم «البريدج» ـ لعبته المفضلة . وكان يمتاز بأخلاق سمحة وطبيعة مرحة يرتاح اليها اللاعبون دائما . فضلا عن كونه لاعبا ماهرا يحسن استخدام ورق اللعب ، كانت لمواقف مأثورة اذا ما جانبه الحظ . أما اركان نصيبه الفوز ، فرد ذلك الى الصدفة والحظ اكثر من المهارة والخبرة . وكانت من سماته ايضا التسامح ، فمثلا ان اخطأ زميل له أثناء اللعب ، حاول أن يجد له عذرا مقبولا ليخرجه من مأزقه . لذلك كان من الغريب حقا أن يرى في ذلك اليوم حاد المزاج ، يوجه الى زميله أغلظ القول ويرميه بالعين الصفات .

نعم كان من المذهل أن يأتي « هنري جارنيت» مثل تلك الاخطاء الجسيمة التي يندر أن تصدر من شخص له مثل أخلاقه الطيبة ـ ومع ذلك كان زميله يتقبل تلك الاهانات بابتسامة الرضا والتسامح . ولا غرو في ذلك فهؤلاء الرفاق كانوا جماعة من الأصدقاء القدامى تجانست شمائلهم وتآلفت قلوبهم ، ولذا لم يهتموا كثيرا بما حدث ولم ينظروا اليه نظرة الجد . وكان «هنري جارنيت» يعمل سمسارا في سوق الاوراق المالية كذلك كان يمتلك أسهما في احدى المؤسسات الكبرى ومن أجل ذلك اعتقد أحد أصدقائه أن هناك أمرا خطأ قد وقع في محيط العمل أو خسارة مالية أصابت اسهمه فبادره قائلا :

ـ كيف حال السوق اليوم ؟

ـ عظيمة للغاية ، أن كل شخص حقق ربحا حتى لو كان طفلا صغيرا .

استولت الدهشة المحيرة على الجميع وايقنوا أن هذا الضيق الذي

يشع من ملامحه وتصرفاته . لم يكن مصدره المسائل المالية كما توهم احدهم ، ولكن لابد ان يكون هناك سبب على اى حال .. وقد اشتهر « هنرى جارنيت » بانه انسان كبير القلب ، يقدس الحياة الروحية ويكرس حياته لتربية اطفاله وتنشئتهم التنشئة الصحيحة الفاضلة . يرسل تكاته المرحه دائما تعليقا على مناقشة رفاقه التافهة اثناء اللعب . ولكنه فى ذلك اليوم بدا كمن يجلس فى صمت وحسرة وقنوط . ولما اراد احد اصدقائه ان يخفف عن نفسه لوعتها فاختار موضوعا للحديث ، يعلم الجميع ان « هنرى » يطربه دائما التحدث فيه والاستماع اليه ، قال :

ـ كيف حال ولدك يا هنرى ، لا شك انه احرز تفوقا فى الدورة الرياضية لقطب حبى « هنرى جارنيت » وازداد عبوسه تجهما وتمتم :

ـ نعم لقد ابدى كفاءة ملحوظة .. كما تبدأ له دائما .

ـ ومتى عاد من « مونت كارلو » ؟

ـ الليلة الماضية .

ـ ترى هل استمتع برحلته ؟

ـ ربما !! ان كل ما علمته انه كان احمق فى تصرفاته .

ـ وكيف ذلك ؟

نظر « هنرى جارنيت » الى رفاقه الثلاثة نظرة كلها الم ومرارة وقال :

ـ ارى الا ازعجكم بامر لا يعنيكم فى كثير .

احد الجميع يتطلعون اليه بدهشة وقلق وهو يحملق شاردا فى عطاء المائدة الاخضر ..

استمر اللعب وسط ذلك الوجوم ، ولاحظ الجميع ان هنرى كان يخسر وهو يلعب الورق كمتعدى ، سادج ، حتى انتهى « الدور » بخسارة فى جانبه وتلا ذلك « دور » آخر لم يكن باسعد حظا من سابقه ، وفجاة صاح زميله :

ـ مادا دهاك يا « هنرى » انك تلعب كالاحمق ..

وفعلا كان هنرى « جارنيت » مشلل الفكر بادى الارتباك .. فلم يكترث كثيرا بما اصابه من خسارة ، وراد من انه علمه ان تحطه هذا لا شك مؤثر على زميله . لذا حاول ان يجمع شتات نفسه ويخاطب رفاقه

ـ من الافضل ان اكف عن اللعب الآن ... لقد علمت انه مهدى ، اروعى ولكن الواقع غير ذلك فانى غير قادر على تركيز فكرى فى شىء .. ولا اكتمكم ايها الاصدقاء ان راسى يكاد ينفجر هنا انفجر الجميع يضحكون

ـ على رسلك .. لسنا بحاجة الى مزيد من التفسير فمظهرك يفصح تماما عن ذلك . نظر اليهم « هنرى جارنيت » نظرة يملأها الاسى وقال :

ـ انى اراهنكم لو ان ما حدث لى قد وقع لكم بالفعل لما تغيرت حالكم عن حالى . صدقونى انى فى مأزق حقا حرج ، ولا احد لنفسى منه مخرجا .. هلا تفضلتم ، واسدديتم الى النصح وانرتم لى الطريق فاكون مدينا لكم بالشكر مدى الحياة ..

فاقترح احد الاصدقاء قائلا :

ـ اذن فلنأخذ شيئا من الشراب .. ثم تقص علينا كل شىء عن ذلك الموضوع الذى اطاش بعقلك ، وسوف نجد لك مخرجا لا محالة ، والا فلن نجد من يخلص لك النصح .

ثم نهض هذا الصديق ودق الجرس

للخادم يطلب شرابا . ثم قال هنري بصوت حاسم مختوم

— ان الموضوع يتعلق بولدي .. هذا الشعبي اللعين

ثم جاء الساقي بالشراب لهم .. واخذ « هنري جارفيت » يحكي وقائع قصته من اولها ....

.... كان « لهنري جارفيت » ولد في الثامنة عشرة من عمره ، وبنتان احداهما في السادسة عشرة والاخرى في الثانية عشرة . وكان يخص ولده هذا بنصيب كبير من حبه ورعايته .

حقا انه كان عطوفا على بنتيه يغمرهما بهداياه الجميلة في اعياد ميلادهما وفي عيد الميلاد كريسماس . ولكنه مع ذلك كان شغوفا بابنه «بيقولا» ينظر اليه دائما نظرة فخر واعجاب . وكيف لا و « بيقولا » ابن بار بوالديه وعلى خلق عظيم يفخر بنوته كل اب ، فارع القامة متناسق الاعضاء له رأس جميل يتوجه شعر بني مشوح ، عيناه زرقاوان واهداب طويلة . اما حاجباه فكثيفان مميزان، وفمه ممتلىء تزينه اسنان بيضاء ناصعة . لم يكن من طبيعته التجمل وان بدا جم التواضع — كانت صلاته الاجتماعية يشوبها الادب واللهو البريء نشأ في بيت عريق ، وانداه أوان متحابان صحيحا البدن . كل ذلك بلا شك اسهم في تكوينه المثالي خلقيا وخلقيا تراه وقد انعكست جميل شمائله على محياه ابدا دائما جذابا . لم يحدث قط أن مرض او اصيب والديه عندما كان طفلا صغيرا . فلما شب وصار صبيا يافعا كان طالبا ممتازا في مدرسته يقوم بادائه واجباته على الوجه الاكمل كما دلت على ذلك تقارير المدرسة الدورية — وفوق ذلك كان يتمتع بحب الجميع وتقديرهم ، كما حصل على العديد من الجوائز بصفته نائب فريق كرة القدم في مدرسته ، وفي سن الرابعة عشرة تفجرت ميوله فاظهر موهبة فذة في لعبة « التنس » التي كان يمارسها والده ايضا ويتقنها بمهارة فائقة ، وذلك عندما اكتشف « هنري » ذلك الميل لدى ولده شجعه على ممارستها والتدرب عليها على الوجه الصحيح . فكان يتخير فرصة الاجازة الصيفية ويعهد به الى احد المدربين المتخصصين في هذه اللعبة لتلقنه اسسها الصحيحة — وما ان بلغ السادسة عشرة حتى اظهر تفوقا ملحوظا وسرورا اعظم فوق ما يمكن ان يجوزه من هو في مثل سنه — واكثر من ذلك فانه اصبح يهزم والده بشجاعة رياضية — اذا ما لعب ضده — وبطبيعة الحال لم يؤثر ذلك في نفس الوالد ، فقد كان حبه الابوي يطغى على سواه من المشاعر . وفي الثامنة عشرة التحق بجامعة « كامبريدج » لاتمام دراسته ومن ذلك الوقت و«هنري جارفيت» الأب يداعبه أمل كبير في أن ينال ابنه الجامعة في مباريات لتنس الدولية وفي الواقع فان بيقولا كان يمتاز بصفات ترشحه لأن يكون بطلا ذات يوم . فضلا عن كونه فارع القامة مما يمكنه من ادراك الكرة في ارتفاعها ، كان كذلك سريع العدو ذكيا بعيد النظر يدرك تلقائيا مكان اتجاه الكرة فيسرع اليها دون جهد او عناء . قوي الساعد ماهرا في رد الكرة قبل أن تلامس أرض الملعب . — كل ذلك جعل « هنري جارفيت » يزداد ثقة وايمانا يوما بعد يوم بمستقبل ابنه الباهر في هذه

اللعبة . وكثيرا ما كان يداعبه الأمل .. من يدري فربما وقع عليه الاختيار ليمثل بلده ـ ديمبلدون ـ ليحرز كأس « دافيد » ..

لقد شاهدت في حياتك خلجة مضطربة رأى خلالها ولده وهو يقفز فوق شبكة الملعب مرفوع الرأس مرهوا ليصافح البطل الامريكي ـ بعد أن أوقع به هزيمة منكرة .. ثم يخرج من الملعب وسط هتاف الجماهير المدوي وتشجيعهم له ...

وكان « اهنري جاربيت » نجما طيبا من الاصدقاء في وطنه وديمبلدون جمعتهم به هواية التنس .. وذات مساء ـ وبينما هو يتناول طعام العشاء في مطعم بالمدينة لمح بالقرب منه « الكولونيل براندون » احد هؤلاء الاصدقاء . أخذ هنري يحدثه كعادته عن ولده بيقولا ويعرب له عن أمانيه الكبار في ان يواتيه الحظ فيقع عليه الاختيار ذات يوم ليمثل جامعته « كامبريدج » في « لعبة التنس » خلال الفصل الدراسي التالي .

ـ ..وهنا قال الكولونيل منصرا

ـ لم لا تدعه يذهب الى « مونت كارلو » ليشترك في دورة الربيع الرياضية هناك ؟

أجاب هنري على الفور :

ـ اعتقد يا عزيزي ان «بيقولا» لم تتهيأ له بعد الخبرة الكافية .. اضف الى هذا انه لم يبلغ التاسعة عشرة بعد .. حقا لقد لعب في «كامبريدج» في شهر اكتوبر الماضي وحالفه الحظ وتفوق على الفرنسي المضاد ولكن مع ذلك أرى انه لا يزال ينقصه الكثير .

تابع الكولونيل حديثه :

ـ لا شك ان أمثال « اوستن » و «فون جرام» من ابطال التنس سوف يصيبون اهدافا صعبة في هذه المباراة ولكنه مع ذلك قد يحرز هو الآخر هدفا أو آخر .. ومن يدري فقد يتفوق فيصيب أهدافا كثيرة ولا شك ياعزيزي انه لم يلعب قط ضد أي فريق من الصف الاول ولا شك ان اشتراكه في هذه الدورة سوف يكسبه خبرة تفوق بكثير ما اكتسبه من المباريات التي اشترك فيها من قبل .

قال هنري جاربيت متحمسا :

ـ في الواقع يا عزيزي انني لم افكر في هذا الموضوع من قبل .. ولا يمكن بحال أن اشجعه على التخلف عن الجامعة خلال الفصل الدراسي ، ذلك أني دائما افهمه بان هواية التنس مجرد رياضة ويجب الا تتدخل في عمل الفرد الاساسي فتموقه عنه .

وعندئذ سأل الكولونيل صديقه هنري جاربيت عن موعد انتهاء الفصل الدراسي ، ولما أجابه استطرد في تصميم :

ـ حسنا ، علينا اذن أن نعمل الترتيبات اللازمة .. وعلى كل فتى يلعب ولدك اكثر من أيام ثلاثة .

ثم اطرق برهة تابع بعدها حديثه :

ـ لعلك تعلم يا صديقي جيدا ان اللاعبين اللذين اعتمدنا عليهما لنحرز بطولات لصالح فريقنا قد جنيا املنا جميعا فاصابتهما الهزيمة الساحقة وأصبح فريقنا هزيلا وفي حالة يرثى لها .. ولذا أرى أنه من الحكمة ان نرشح فريقا على قدر من الكفاءة والخبرة ليمثلنا ويأخذ بيدنا من تلك العثرة . ولقد علمت أن المانيا سترسل فريقا من أكفأ لاعبيها وكذا امريكا .

اجاب هنري على الفور :

ـ هذا قول معقول لا شك في ذلك،

ولكن كما سبق أن اشرت لك فان بيفود لم يبلغ بعد من المهارة ما يؤهله لذلك .. وشيء اخير .. كيف لي ان أرسل شابا في مثل سنه الى مدينة «تشيوت تارنو» بمفرده دون رفيق يتعهده ويرعى شئونه .. ليتني استطيع ان اذهب بنفسي .. ولكن هيهات انه امر بعيد الحدوث

وهنا ادرته الكولونيل بحماس

ـ سوف اكون هناك في نفس الوقت كقائد الفريق الانجليزي، وبهذا سنتاح لي الفرصة ان الاحظ ونلك واراقب تصرفاته عن كثب .

ـ ولكن قد لا يسمح لك الوقت بذلك . كذلك وانا لا ارغب أن اعهد اليك بمثل تلك المسئولية فرعيم مقامك واهم من ذلك كله ، لا تنس انه لم يسافر الى الخارج من قبل ، ولا أخفي عليك انه لو فرض وذهب بالفعل فلن يهدأ عيني هنا حتى يعود .

وبانتهاء هذه المناقشة عاد هنري جاريت الى بيته.ان اقتراح الكولونيل «براندون» جعله مشتت الفكر ، وفي نفس الوقت ملأه زهوا وسرورا حتى انه لم يستطع حبس عن زوجته مبادرها قائلا :

ـ تصوري كيف يرى الكولونيل ولدنا بيفود لاعبا سيمتازا يشرف منتخب عظيم .

لقد اخبرني انه رآه يلعب التنس بمهارة ودقة ولا ينقصه سوى المزيد من التدريبات ليكون من لاعبي الصف الاول .

ودهش عندما لم تبد زوجته اي اعتراض على فكرة الكولونيل ، ـ كما توقع ذلك . ودارت بينهما هذه المناقشة :

قالت الزوجة :

ـ اني معجبة تماما على ولدنا ، فقد بلغ السادسة عشرة ولم يرتكب خطأ يذكر لهذا يجب الا نعرض حدوث ذلك

ـ ولكن لا تنسي يا عزيزتي ان عمله الدراسي يجب ان يكون له الاعتبار الأول ، ولا شك انه ان لم ينتظم في معهده حتى نهاية الفصل الدراسي فسوف تحتسب له نادرة سيئة ـ هذا فضلا عن انه قد يعتاد تكرارها.

ـ ولكنك قلت انها ثلاثة ايام فقط، واظن ان ذلك ليس بالشيء الكثير .

وتابعت حديثها في توسل

ألست ترى يا عزيزي انه ليس من العدل ان نفوت عليه هذه الفرصة الذهبية التي ستكون لها اكبر الاثر في نفسه بل في مستقبله الرياضي !!

أجابها بحماس واصرار :

ـ لا .. اني عند رأيي .. انني لم الحقه بجامعة «كامبريدج» ليلعب التنس .. لا شك اني اثق تماما في اخلاقه وتصرفاته ولكن كيف نلقي به في أحضان المغريات ثم نطالبه بالاستقامة بعد ذلك .. انه لم يبلغ من النضج بعد ما يخول له الذهاب الى «مونت كارلو» دون رفيق يتعهد أمره .

ـ ولكنك قلت انها فرصة ذهبية ليلعب ضد هؤلاء اللاعبين المهرة .

صمت «هنري جاريت» وتشاءم بهدوء ثم أخذ يستعرض في مخيلته ما سبق ان فكر فيه من برهة وهو في طريقه الى البيت ... بدو أن «أوستن» ذلك اللاعب المشهور ـ لا يتمتع بصحة جيدة ، أما « فون جرام » فربما تغلب عن الذهاب .. وقد يصادف الحظ ليقولا فيفوز ، وعندئذ يقع عليه الاختيار ليمثل جامعة «كامبريدج» ..

ولكن لاشك ان هذا محض وهم وخيال وبعد برهة قصيرة افاق من حلمه واجابها في تصميم :

ـ لن يذهب ولدنا مهما حدث .. هذا هو رأيي الاخير ولن أحيد عنه.

اثرت «مسز جارنيت» الصمت حتى لا يتمادى في ثورته ؛ ولكنها في اليوم التالي بعثت برسالة الى ابنها «بيقولا» تخبره فيها بكل ما حدث ، ونصحته أن يحاول جهده اقناع والده ليطفر بموافقته ان اراد أن يتم له الامر وبعد يومين فوجيء « هنري جارنيت» بخطاب ثائر من ولده ، كانت كلماته تتراقص طربا وسرورا وقد اخبره أنه قد قابل مديره الخاص الذي كان يشغل منصب عميد كليته وكان احد أصدقاء « الكولونيل براباروف » واستشاره في الأمر فلم يجد اعتراضا بالبتة لتخلفه هذه الأيام القلائل ـ واتفق مع الكولونيل في الرأي بأن هذه فرصة يجب ألا تفلت منه ... وفي فقرة اخرى من الخطاب وعد بيقولا أباه بمضاعفة جهده في الفصل الدراسي الثاني ، ان هو وافق راضيا على سفره.

طلت «مسز جارنيت» تراقب زوجها جلسة وهو يتلو الرسالة ، ولم يرمجها قط ان تراه عابسا مقطب الجبين. وما انهى من تلاوتها حتى ألقى بها أمامها وقال ثائرا .

لست أدري ما الذي حدا بك ان تفضي الى ولدنا بحديث التمتك على سماعه ـ ان ذلك لا يليق بك اطلاقا .

انك بهذا كنت السبب في قلقه وعدم استقرار نفسه الذي يبدو واضحا خلال كلماته الثائرة .

أجابت زوجته على الفور بهدوء واتزان

ـ عفوا ياعزيزي ، اني ماقصدت الا خيره ، لقد اردت أن اعذه برأي «كولونيل براباروف» عله ييسر ويكون ذلك حافزا له على دوام التقدم والنجاح .. ثم استطردت

أليس عجيبا حقا أن يطلع الناس على آراء الغير الخصوصة حيالهم ولا يطلعهم على الحسن منها !! وعلى كل فاني صارحته القول بان مسألة دعابه مسألة بعيدة المنال .

استمر هنري جارنيت في ثورته

ـ ولكنك بتصرفك هذا قد اوجدتني في احرج المواقف ، ذلك أنني أمقت ان أبدو امامه أبا طالما لا يشجع هوايته .

قالت مسز جارنيت تلاطفه

ـ لا يا عزيزي ، لن يحدث شيء من هذا ، كل ما في الأمر أنه قد يراك في غضبته عبدا ، ولكنني واثقة أنه فيما بعد سوف يدرك ان حرصك على مستقبله كان الدافع على اصرارك .

لاذ « هنري جارنيت » بالصمت ثم همس في ضجر

ـ رباه ...

وعندئذ أحست زوجته تميل الى الضحك ، فقد أوحت اليها غريزة حواء انها قد كسبت المعركة أخيرا . وهمست في نفسها ... كم هو يسير ان نستميل الرجال فنحملهم يخضعون لرغباتنا دون جهد أو عناء ...

وهكذا ظل « هنري جارنيت متشبثا برأيه ، في ظاهر الأمر ، زهاء ثمان واربعين ساعة بعدها رفع راية التسليم . وبعد اسبوعين عاد بيقولا الى لندن ليستعد للرحيل الى « مونت كارلو» في الصباح التالي . وبعد تناول العشاء صحبت « مسز جارنيت » شقيقها الكبرى بعيدا عن زوجها

وولدهما ، فاستهر الوالد هذه الفرصة ليتفرد بابنه ويلقى عليه بعض النصائح الأبوية الثمينة قال :

ـ اصبارحك يا ولدى بأنى قلق لرحيلك الى « مونت كارلو » بمفردك ولما تتضح سبيلك بعد ، ولكنها ارادة الله وليس لى الا أن أمضى النفس بأنك ستكون ـ كعهدى بك دائما ـ كريم الأخلاق محمود السلوك ، غير أن هناك أمورا ثلاثة اوصيك أن تبتعد عنها وأولها المقامرة .. فاياك والمقامرة ، وثانيها اقراض مالك للغير ـ اما الثالثة فهى النساء .. فاحذرهن دائما ما استطعت الى ذلك سبيلا .

وتابع الوالد حديثه مؤكدا

ـ ان نصيحتى هذه ـ لو علمت ـ ثمينة غالية ، فان وعيتها تماما وعملت بها فلن يصيبك ابدا مكروه .

صمت الوالد برهة ، ونظر الى ابنه نظرة حب وأمل ، ابتسم على اثرها بيقولا وقال

ـ حسنا يا أبت ، سأكون عند حسن ظنك بى .

خرج « هنرى جاربيت » من صمته واختتم حديثه قائلا

ـ هذه كلمتى الأخيرة اليك .. هلا وعدتنى أن تتشبث بوصيتى فتذكرها دائما ؟

اجاب بيقولا على الفور

ـ اعدك الا أنساها .

عندئذ همس الوالد بصوت تخنقه العبرات :

ـ انك لفتى كريم الأخلاق .

وفى « مونت كارلو » ، اشترك بيقولا فى دورة التنس ولم يتغلب على أى من « أوستن » أو « فون حرام » ـ البطلين الماهرين ـ ولكنه مع ذلك لم يتبدل ، بل أحرز انتصارا مماثلا ضد لاعب أسبانى ، كذلك أبدى تفوقا ضد لاعب من استراليا فحسب انظار الحاضرين اليه ، وامتلأت نفسه زهوا وسرورا ، كما أثنى عليه « الكولونيل براندون » وشجعه باخلاص وافهمه أنه فى المستقبل القريب سوف يزداد خبرة وكفاءة بالاشتراك مع لاعبى الصف الأول ، وسيكون الفضل فى ذلك لوالده الذى أتاح له هذه الفرصة الذهبية .

عمرت الفرحة نفس « بيقولا » عندما فكر فى أن يوم العودة الى الديار قد دنا ، وعملا بنصيحة والده ، أمضى تلك الأيام الثلاثة على خير مايكون من الاستقامة والخلق الحميد ، فلم يدخن الا قليلا ، أما الخمر فلم يقربها ، كما اعتاد أن ينام مبكرا . ولكن فى الليلة الأخيرة شعر برغبة ملحة فى أن يعرف شيئا عن الحياة فى « مونت كارلو » تلك المدينة الصاخبة التى طالما سمع عنها الشىء الكثير ، وفى هذه الليلة بالذات دعى جميع اللاعبين ـ الذين اشتركوا فى الدورة الرياضية ـ الى مأدبة عشاء رسمية اقيمت لهم ـ وبعد تناول العشاء ذهب بيقولا مع زملائه الى نادى سبورتنج للمرة الأولى .. ويالعجب ما رأى !! حجرات عديدة غاصة بالناس .. دخل احداها مترددا ووجد نفسه يقف أمام احدى موائد « الروليت » ـ لعبة الميسر المعروفة ـ والتى لم يرها قط الا فى بعض الصور ... مائدة خضراء فى الوسط ـ رصت عليها أكوام من « الفيش » .. يقف أمامها المشرف على اللعبة الذى أخذ يدفع العجلة دفعة قوية ، ثم يقذف بكرة بيضاء صغيرة فى الداخل ، وبعد برهة قصيرة توقفت الكرة وقام شخص آخر

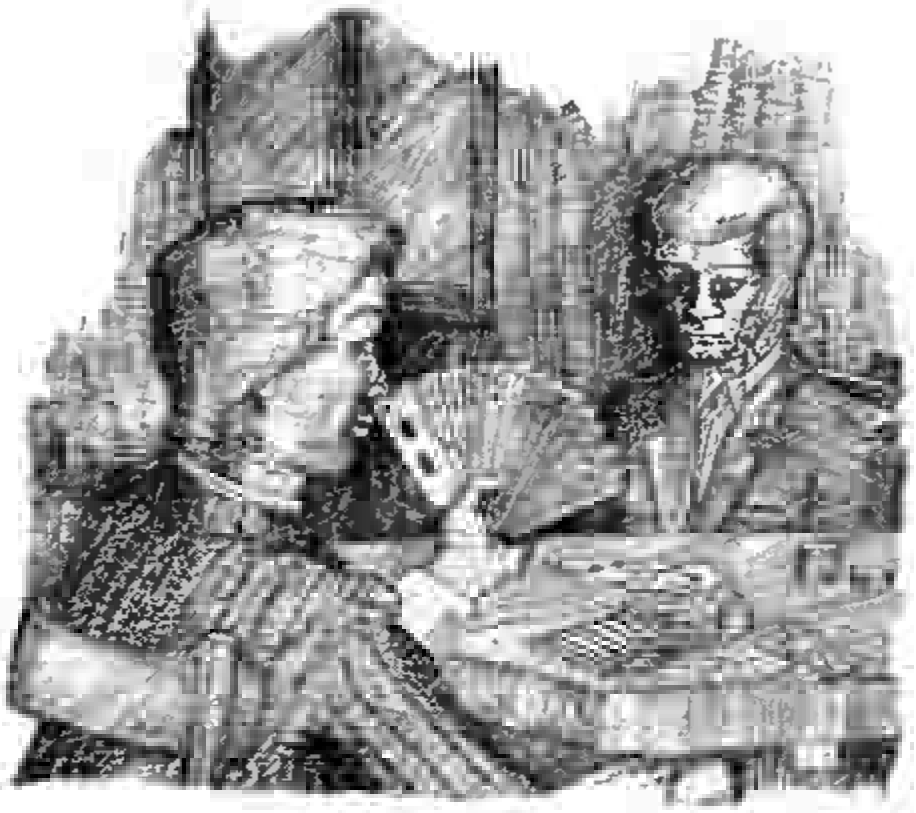

يجمع « الفيش » من الحاضرين وفرده على المائدة دون ادنى اكتراث . وقف « بيقولا » مشتت الفكر مضطربا ، وفجأة لمح في الغرفة المجاورة وجها آخر من الناس فذهب اليها مستطلعا . علم من بعض الحاضرين انها لعبة ميسر اخرى تسمى « الباكاراه » وكانت قائمة آنذاك في أوج نشاطها ـ رأى حشدا كبيرا من المتفرجين يقف خلف قصبان من الناس يحمي المقامرين من صخب القوم وضجيجهم ـ أما اللاعبون فكانوا يجلسون حول المائدة في نظام ، تسع في كل جانب منها وقف في الوسط المشرف على اللعبة في مواجهة المقامر ـ

وقد عرف بيقولا أن المقامر كان عضوا في الاتحاد اليوناني لاصحاب رؤوس الأموال . لقد أدهشه منظر ذلك المقامر وقد بدا ساكنا هادىء النفس في جميع الأحوال سواء ربح أم خسر .. حقا انه لمشهد عجيب حقا لاسيما بالنسبة لشاب « كيقولا » نشأ في بيئة صالحة بعيدة كل البعد عن هذا الجو الصاخب المثير ـ وكيقولا تصعقه الدهشة وقد رأى شخصا يخاطر بآلاف الجنيهات في المقامرة ثم يقابل الخسارة بدعابة مرحة . وانه لفي عمرة دهشته اذا بصديق له يبادره القول

ـ ترى هل حالفك الحظ ؟

ـ انى لم أقرب اللعب ٠

ـ لقد أصبحت يا صديقى انها لعبة لعينة ٠٠ تعال معى نأخذ بعض الشراب ـ حسنا ـ

وبينما جلس الصديقان يشربان أخبر بيقولا صديقه بأنه لم يدخل تلك الحجرات الا فى تلك الليلة ولمجرد اشباع فضوله ٠

قال الصديق ممتقعا ـ

ـ ولكن يجب ياعزيزى ان تجرب حظك ولو مرة واحدة قبل أن تغادر « مونت كارلو » واعتقد انه لن يضيرك ان تخسر مبلغا زهيدا كمائة فرنك مثلا ٠

أجاب بيقولا بعد تفكير :

ـ حقا ماتقول ، ولكن يمنعنى من ذلك امور ثلاثة حذرنى منها والدى قبل الرحيل ونهانى عنها ، وكانت المقامرة احداها ٠

وانتهى الحديث وانصرف الصديق ، أما « بيقولا » فعاد الى جديد حيث مائدة « الروليت » ، وأخذ يرقب اللاعبين هذه المرة بحماس كبير يفوق المرة الأولى ٠ يا له من مشهد مثير للغاية ٠٠ فريق يخسر أمواله ثم يلقى بها فى نفس الوقت الى أيدى الرابحين ٠٠ وأخذ يهجس فى نفسه

٠٠٠ حقا لقد أصاب صديقه عندما قال انه من الحمق أن يغادر « مونت كارلو » دون أن يجرب حظه فى اللعب ولو مرة واحدة ٠٠ لكن مع ذلك لم تسمح فيه رغبة من هذا القبيل بادىء الأمر ٠ وما لبث أن تراخمت الخواطر فى رأسه ٠٠

انها لن تكون سوى تجربة ٠٠ أليس من حق كل شاب فى مثل سنه أن يخوض جميع التجارب ليفرق بين الطيب والخبيث ٠٠٠ انه لم يعد والده بعدم المقامرة ٠٠ كلا ٠٠ ولكنه وعده الا ينسى وصاياه ٠٠ وشتان بين الوعدين ٠٠ أليس كذلك ؟ وهكذا حاول أن يقنع نفسه بصحة تفكيره ثم أخرج من جيبه رزمة مالية من فئة المائة فرنك وتخيل المبتدىء وتهيبه وصممها على العلامة التى تشير الى رقم ١٨ ـ وقد اختار هذا الرقم بالذات لأنه عدد سنوات عمره ٠ وبقلب واجف ونظر زائغ أخذ يرقب العجلة فى دورانها ـ أما الكرة البيضاء فكانت تائرة كالشيطان الصغير يسمع منها أزيز مسدد ٠٠ وسرعان ماخف دوران العجلة وهدأت معها حركة الكرة حتى اوشكت على التوقف ، ولكنها عادت من جديد واستمرت فى دورانها ٠٠ لم يصدق « بيقولا » عينه عندما رآها تقف تماما على رقم ١٨ ٠٠ وبيد مرتجفة تناول قطع « الفيش » التى القيت اليه ٠٠ استولت عليه الدهشة ولم يفكر قط أن يعاود اللعب ٠٠ بل وقف يشخص فى دخول الى العجلة فرآها تدور من جديد ثم تتوقف وتستقر الكرة الى نفس الرقم السابق ٠٠ رقم ١٨ ٠

وأفاق بيقولا من ذهوله على صوت رجل كان يقف بجواره ، سمعه يصيح

ـ حظ سعيد ٠٠ لقد ربحت مرة ثانية ٠

أجاب بيقولا فى دهشة

ـ اتعنينى انا ؟

ـ نعم ٠ ان « الفيش » الذى كان

على رقم ١٨ يحصل ... وبذا تعلق به هذه يعني انه لايزال في مرمى اللاعب حتى تصيده اليك ٠

وهكذا ربح بيقولا مرة أخرى والقى اليه من جديد بمجموعة من الفيش ٠٠ شعر بدوار وهو يعد ارباحه فبلغت مجموعها سبعة آلاف فرنك ٠٠ لقد ملأه الغرور آنذاك وستولى عليه شعور عجيب بالقوة الخارقة ٠٠ يا لها من طريقة يسيرة لكسب المال !!

لقد بدا وجهه البريء متهللا يتصبب بالعرق ٠ وقد انعكست على صفحته ابتسامة عريضة ـ نظر امامه فالتقت عيناه بعيني امرأة كانت تقف بالقرب منه ـ قالت له بالانجليزية التي تشوبها لكنة أجنبية

ـ ان الحظ يحالفك ٠٠

أجابها شاردا

ـ اني أكاد لا أصدق ماحدث ، فهذه هي المرة الأولى التي أقامر فيها

قالت على الفور

ـ اني أصدقك فان تصرفاتك تؤكد ذلك ٠٠ والآن هلا اقرضتني الف فرنك لقد فقدت كل ما املك في المقامرة ٠٠ وسوف أردها اليك خلال نصف الساعة القادمة ٠

أجابها بيقولا الى طلبها ، فشكرته وانصرفت ٠

وفي هذه اللحظة سمع بيقولا الرجل الذي كان يحدثه من قبل يوجه اليه القول

ـ انك لن ترى هذا المبلغ أبدا لقد ذهب مع الرياح الأربع ٠

صمت هذه العبارة المقتضبة فلم يلبث ان شعر ٠٠ وتراجعت في ذهنه الخواطر ٠ ألم ينصحه والده بالا يقرض مالا لأحد ٠٠ بالها من حماقة

... تلك التي ارتكبها بطيشه وغروره لقد علمته السنة والخمسة فاقرض مايه شخص غريب لم يره من قبل ٠٠ وعلى كل لاداعي للاسى ، فانه لايزال يحتفظ بستة الاف فرنك ٠ ثم وسوس له الشيطان ٠٠ لما لا يعاود اللعب ٠٠ فان حالفك الحظ فلتسرع بالعودة الى مسكنك ٠٠ هيا تشجع وكن رجلا ٠٠ تملكته الرغبة الملحة في ان يقامر من جديد ـ حاول أن يقاومها ولكنه لم ينجح ٠٠ وانتهى به الامر بأن وضع « الفيش » على رقم ١٦ الذي يتفق وعمر شقيقته الكبرى ، لكن كان نصيبه الفشل ٠ لم يتسرب اليأس الى نفسه وأصر على محاولة جديدة ٠٠ فوضع « الفيش » على رقم ١٢ وهو عمر شقيقته الصغرى ولكن الحظ أصر هو الآخر على التنكر له عمره شعور عميق بالفشل جعله يتردد لحظة قرر بعدها معاودة المقامرة ٠٠ وفعلا لعب وربح ٠ لقد عوض خسارته ، وفوق ذلك كسب مبلغا كبيرا ٠٠ ثم كل ذلك في اقل من نصف ساعة كانت حافلة بشتى الانفعالات والمفاجآت المثيرة التي لم يعرفها من قبل ٠

لقد وجد نفسه امام أكوام عديدة من « الفيش » التي صاقت حيرته عن حملها ٠٠ وقبل أن يعود الى فندقه توجه الى مكتب الصراف لتحول « الفيش » الى نقود ٠ وفي لحظة تسلم اوراقا نقدية قيمتها عشرون الفا من الجنيهات ، دسها بلهفة في جيبه وهو شارد الفكر ٠ هم بالانصراف واذا به يلمح المرأة التي اقرضها الألف فرنك تقبل نحوه مسرعة ٠٠ قالت

ـ لقد بحثت عنك في كل مكان كالمجنونة ، ذلك انني خفت أن تكون قد

ذهبت وانت تحمل آسوأ الذكرى عني ..

ثم مدت اليه يدها ببعض التعهد قائلة

ـ اليك العشرة آلاف فرنك قيمة الدين اردها اليك شاكرة .

تحصب وجه بيقولا بحمرة الخجل وأحد يشخص اليها بدهشة وأسف . واستغرق لحظة في تأملات متباينة ... كم كنت ظالما في حكمي على هذه السيدة .. لقد حاربني والدي من المقامرة وهانذا قد فعلت ورتحت عشرين الف فرنك ، كذلك أوصاني بالا اقرض مالا لأحد وخالفته مرة اخرى واقرضت امرأة غريبة مبلغا من المال وها هي ترده الي كاملا .. لقد برهنت على أنني لست غبيا احمق كما اعتقد والدي .. ان ماشجعني على اقراضها هذا المال شعور نبع من أعماقي ألح علي ان افعل .. يا له من شعور صادق .

بدا بيقولا وقد انعكست على وجهه صورة تلك الانفعالات الثائرة مما دعا تلك السيدة ان تعرق في الضحك وسألته مستفسرة :

ـ ماذا دهاك ؟ اجابها بسذاجة

ـ اصارحك دون مواربة . ! لقد حاربني الشك انك لن تعيدي الى هذا المال .

أجابته على الفور وهي تمتعل الغضب

رباه .. كيف ذهبت بك الظنون الى هذا الحد ، أهكذا أبدو خائنة ! ؟

أجاب بيقولا بخجل وأسف

ـ عفوا .. عفوا ، انني ما ظننت شيئا من هذا .

كانت تبدو أنيقة في فستانها الأسود وقد تحلت بعقد ذهبي اللون ، رادها فتنة وجمالا ـ أرخى وجهها الصغير بأنها لا يكبره الا بثلاثة او اربعة أعوام على الأكثر . وبعد لحظة قصيرة نظرت اليه السيدة برود وبادرت الحديث :

ـ ان زوجي يعمل في حكومة مراكش ، وقد اتى لي بالخبر الى مونت كارلو لبضعة أسابيع طلبا للراحة والاستجمام .

وقال بيقولا بعد جهد كبير : أما انا فاني على وشك العودة الى ديارى .

فقالت متسائلة : أبهذه السرعة ؟

ـ نعم في الصباح الباكر ، سوف أعود الى لندن بالطائرة .

ـ لقد انتهت الدورة الرياضية اليوم ، اليس كذلك ؟ . اظنك لا تعلم انني كنت أتابعك وانت تلعب ، واعجبت كثيرا بك .

فقال بيقولا وقد ملأه الغرور

ـ احقا ماتقولين . ؟ ولكن ما الذي استرعى نظرك في ؟

ـ مهارتك في اللعب ورشاقة مظهرك وانت ترتدي الشورت .

كان بيقولا شابا ذكيا ، ولذا حاصره الشك بادىء الأمر في أمر هذه الحسناء وراودته الوساوس : ترى هل اقتربت منه هذه الحسناء ذلك المبلغ بقصد التعرف عليه ؟

مرت لحظة سألته بعدها

ـ هل ذهبت الى نادي «بيكر بروكر» الليل من قبل ؟

ـ كلا لا أعرف عنه شيئا .

ـ انه مكان جميل ويجب ألا تغادر مونت كارلو دون أن تقضي فيه بعض الوقت ..

أود أن ترافقني الى هناك لنرقص قليلا ونتناول بعضا من لحم الخنزير والبيض فاني أصارحك ـ أشعر بجوع شديد .

وفي هذه اللحظة أيضا تذكر «بيقولا»

نصيحة أبيه الأخيرة .. نعم ألم يحذره من النساء ؟

ولكن الأمر يختلف . ان هذه الحسناء تبدو لأول وهلة انها سيدة فاضلة ثم ان زوجها كما اخبرته يعمل كمراسل حربي في مراكش . وتذكر ان لوالديه أصدقاء عديدين يشغلون هذا المنصب وكثيرا ما رأى زوجاتهم يتناولن العشاء مع أسرته في البيت . حقا ان تلك الزوجات لم يكن على هذا القدر من الجمال أو الشباب ولكنها على أي حال سيدة محترمة متلهفة ..

ووسوس له الشيطان مرغبا

ـ لقد ربحت عشرين الف فرنك دون جهد او عناء ، ومن حقك أن تلهو قليلا بمبلغ منها .

ولما استجاب «بيقولا» له وأفسح نفسه بصحبة ما أملاه عليه . قال لها مرحبا

ـ يسعدني يا سيدتي أن أرافقك الى هذا المكان .. ولكنني لن أمكث فيه طويلا لأنني تركت تعليمات في ادارة الصندق الذي أقيم فيه تقضي بايقاظي في الساعة السابعة من صباح الغد .

وأجابت راضية

ـ لك أن تعود وقتما تشاء يا عزيزي

وهناك في نادي « بيكر بروكر » استمتع بيقولا بوقت جميل . كان يلتهم البيض ولحم الخنزير النهاما ، ثم احتسى معهما زجاجة من الشراب . ولما لعبت الخمر برأسه راقصها بنشوة وسرور على أنغام الموسيقى وشدو الغانية الدافىء العذب . تسابق الراقصون ورفيقاتهم الى حلبة الرقص وأخذ الجميع يتمايلون في مرح على دقات الطبول . اقتربت السيدة من « بيقولا » وهي تراقصه فلامست وجناتهما وتلاقت نظراتهما ولمع في عينيها بريقا عاصفا جعله يترنح في خطاه وسمعها تهمس في أذنه

ـ ألم يخبرك أحد من قبل انك شاب وسيم ؟

ابتسم « بيقولا » برهو وقد شاعت في نفسه خفة من الغرور قال

ـ لا .. لا اظن ذلك .

ثم افترق وقد أيقن أنها لا بد وقد شغفت به . وأخذ يضمها اليه برفق حتى استسلمت بين ذراعيه وأغمضت عينيها في دلال ، وأرسلت من بين شفتيها تنهيدة حانقة فهم بيقولا مداعبتها فقال

ـ أرى انه ليس من اللائق يا عزيزتي ان أقبلك أمام هذا الجمع من الناس .

ثم أبدى رغبة في الانصراف حتى أن يتقدم به الوقت أكثر من ذلك ، فقالت على الفور

ـ يجب أن أذهب أيضا .. هلا تفضلت فأوصلتني الى فندقي فأكون لك شاكرة ؟

دفع بيقولا الحساب وقد أدهشه ضخامة المبلغ ولكنه لم يكترث كثيرا بالأمر بعد أن تذكر المال الوفير الذي في جيبه .

استقلا بعد ذلك سيارة أجره ، وما لبثت ان اقتربت منه في اغراء ، فضلها في غيبة من نفسه ولما أفاق وجد نفسه يتمتم في ذهول

ـ رباه .. ماذا دهاني !!

وتراحمت الخواطر في رأسه انها سيدة متزوجة ، وزوجها يعمل في مراكش ولكن يبدو واضحا أنها قد أغرمت به ؛ ومرة أخرى تذكر وصية أبيه .. لقد حذره من النساء ووعده حينذاك أن يكون عند رأيه فلا ينسى وصيته .. وها هو قائم على وعده .. نعم ألا يذكر وصاياه

دائما لا ، انها لا تزال عالقة بذهنه يذكرها في كل وقت وآن ولكنها الأحداث التي تغير مجرى الامور .. ثم انها شابة جميلة .. وهي الحمق حقا أن يدع مغامرة ممتعة كهذه تفلت منه بعد أن سعت اليه مختارة . وبعد وقت قصير توقفت السيارة أمام الفندق الذي تقيم فيه رفيقته ، فصرف السائق بعد أن نقده الاجرة ثم التفت اليها مجيبا وقال

ـ خير لي أن أسير الى فندقي لاستنشق نسيم الليل النقي بعد أن امتلأت رئتاي بغاسه الهواء الذي انتشر في ذلك المكان الصاخب .

نظرت اليه برود وقالت ترجوه :

ـ هلا صعدت معي الى غرفتي فاريك صوره طفل الصغير .

صاح متعجبا :

ـ احقا ما تقولين ؟ هل لك طفل صغير ؟ .

ـ نعم انه طفل جميل جدا .

ثم صعدت الى غرفتها وتبعها الشاب وفي الواقع لم يكن يعنيه البتة ان يرى صوره صغيرها كما ادعى ذلك ، انما كان مخلص وهم خدع به نفسه ليستتر خلفه فيخفي حقيقة رغباته . ثم ساورته الشكوك .. ترى ماذا يقصد من وراء طلبها هذا ؟ هل قصدت تصرفاته الصبيانية معها في النادي فبدا أمامها حديث السن ولذا دعته الى غرفتها لمجرد ان تريه صورة طفلها ، فتؤكد له حقيقة زواجها فيه ، ولها الحق فيما ظنت الم يخبرها انه في الثامنة عشرة من عمره ؟

ثم شعر بوخز الندم على ما فعله في ذلك النادي تماما للشراب ـ وبعد أن صارا معا في غرفتها انتظر ان تاتيه بصورة صغيرها ولكنها لم تفعل بل اسرعت اليه تعانقه وطبعت على شفتيه قبله حاميه أودعتها كل معاني الحب ، وفي تلك اللحظة لمعت في خاطره ولمرة قصيرة ، وصية ابيه تذكره بسباق وعده .. ولكنه في غمرة تلك النشوة نسي كل شيء .

وكان من طبيعة بيقولا أن يستيقظ من نومه لاقل صوت ، ولذا تنبه فجاة من نومه في جوف الليل على صوت حفيف حاول أن يتذكر أين كان ولكنه لم يستطع بادىء ذي بدء . لم تكن الغرفة مظلمة تماما فقد تسرب اليها شعاع خافت ينبعث من غرفة الحمام المجاورة . وفي اللحظة التالية تبين أن هناك شخصا يتحرك بهدوء وتمهل في الغرفة ، عندئذ تذكر كل شيء ، انها رفيقة ليلته وكاد ينطق لولا أن شيئا غامضا في مسلكها أمداك حبس الكلام في حلقه . ذلك أنها كانت تتحرك بخطى وئيدة وكأنها تخشى ان توقظه . اقتربت من سريره أكثر من مرة لتتأكد من أنه في سبات عميق ، ثم اتجهت بحذر وتردد نحو المقعد الذي كان قد وضع عليه ملابسه وانتظرت لحظة بدت وكأنها دهر من فرط القلق . بلغ السكون أقصاه حتى خيل الى « بيقولا » وهو يرقد في الفراش وكأنه يسمع دقات قلبه ... تناولت معطفه بهدوء بالغ وسرعة دست يدها الآثمة في جيب معطفه الداخلي فاخرجت اوراق النقد التي ربحها من وقت قصير وكان مزهوا بها ، ثم اعادت المعطف الى مكانه ووضعت فوقه بعض الملابس الاخرى لتخفي معالم جريمتها . امسكت رزمة الأوراق المالية ووقفت لحظة مشدوهة رائعة البصر لاندى حراكا . صعد الدم في رأس « بيقولا » وهو يراقب هذه الاحداث المثيرة المعاقة وكاد يقفز من سريره فيقبض على اخائنة

لولا فكرة طارئة لمعت في خياله فأرجأت على نفسه الهدوء والسكينة . لقد أدرك انه في صدف اخسي مثله أخسي كذلك ، ولا يدري ما يخبئه له القدر ان هو أحدث صخبه أو آثار مشاغبة . ظلت تشخص اليه وهو يرقد في سريره ساكنا مغمض العينين فخالته مسترسلا في نوم عميق. وراد هي يقينها ان تنفسه كان هادئا منتظما . سكنت نفسها بعض الشيء وتقدمت خطوات وئيدة متحفظة نحو منضدة تواجه ناحية مقابلة للسرير . وضع عليها اصيص به نبات للزينة

ـ ظل بيقولا يتابع حركاته بنظرات متناهية ، فلاحظ أن الفتاة لم تكن ثابتة في الاصيص اذ انها قد امسكت ساقه بيدها ورفعته بسهولة ، وفي لمح البصر دست أوراق النقد في قاعه واعادت النبات الى مكانه الاول .. يا له من محتال اميل بعيد عن الشبهات .

وفي جوف الليل البهيم ووسط هذا السكون الشامل تسللت بخدر بالغ حتى اقتربت من السرير فالفت بنظرها عليه بسرعة وهدوء ثم همست بصوت متثائب :

ـ عزيزي .. ؟!

لم تسمع لهمستها ردا . احدت تقلب البصر في صديقها فالفته ساكنا يغط في نومه . ابتلعت ريقها وهدأ روعها رويدا رويدا . حقا ان بيقولا كان يبدو هادئا في ظاهره ، ولو ان افكاره في الواقع كانت ثائرة مضطربة من حول ما شاهد من احداث متلاحقة .

احد يهجس في نفسه بسخط خانق .

ـ هراء وخناق كل هذا فالته تلك الفاسقة . طفلها الصغير .. زوجها الذي يعمل في مراكش .. رباه .. انها ليست الا شيطانة فاسقة ولصة محترفة لقد ظننت انني طفل ابله سيادح .. ولكنها سوف ترى انها قد أخطأت الطريق فعلا .

ومما ضاعف من ثورته انه كان قد رسم خطة في خياله ، بعد تفكير طويل يتفق بمقتضاها الأموال التي ربحها بمهارته ـ كما كان يزعم ـ فلطالما راقت نفسه ان يمتلك سيارة خاصة ، وعلى انه حلم بعيد المنال . لاسيما بعد ان فشلت محاولاته العديدة في اقناع والده بأنه يهبه واحدة ... أما وقد ربح مالا وفيرا ، فلا شك أنه قادر على أن يحصل على سيارة فاخرة .

ـ ولو مستعملة من ماله الخاص .. حقا ان هذا المال ليس في حوزته الآن ، غير انه مرهن بقدرته على استرجاعه .. ولكن كيف له ذلك ؟ هذا ما لم يدركه تماما . لقد طارد فكرة اثارة شغب في صدق يجهل أمره كل الجهل . ومن يدري فربما كان لهذه المرأة الشريرة أعوان يقيمون فيه ، وعلى أهبة الاستعداد للتصدي له ومقاتلته اذا لزم الأمر .

ثم خطر له أمر آخر هام .. انه لا يملك أي دليل على أحقيته لهذا المال .. فلو عرض وأقسمت هذه المرأة أمام الجميع انها المالكة الشرعية له . فلا مناص حينذاك من القبض عليه كمدنس وتسليمه الى ادارة الشرطة .

التهب رأسه من حدة ذلك الصراع الذي كان يتفاعل في نفسه . وأفاق بعد لحظة من هواجسه على صوت تنفسها الهادىء المنتظم فادرك لساعته أنها تعيش مع أحلامها السعيدة قريرة العين .. ولم لا ! وقد اطمأن بالها بعد أن نفذت خطتها باحكام ونجاح كبيرين .

لقد ازداد سخطه عليها عندما رآها

نام سعيدة مطمئنة بينما هو .. صاحب الحق يتقلب على جمر من النار من فرط القلق . وفجاءة خطرت له فكرة طريفة طارئة ، كاد لشدة اقتناعه بها أن يقفز من سريره ليعدها في الحال ، لولا انه تماسك بجلد وتحكم في اعصابه كيلا يفلت الزمام من يده . ثم أخذ يستعرض هذه الفكرة ويتأمل في عمق .

كم هو يسير أن يلعب انسان بنفس اللعبة ، أو أن يقوم شخصان بنفس العمل .. ان هذه المرأة الخائنة قد اختلست ماله ، وليس عليه الا ان يعمل بنفس الشيء فيعيده اليه ، فيصبحان بذلك متساويين .. مرت لحظة بدت على قصرها دهرا طويلا .. ظل فيها يراقبها عن كثب فادا بها ترقد ساكنة وقد غابت عن نفسها في غفوة ملحة .. وبعد تردد همس بصوت مسموع :

ـ حبيبتي ..

ولكنها كانت ترقد في عالم بعيد غير الذي يعيش فيه .

أخذ يزحف من الفراش بهدوء ، ثم يتوقف بين لحظة وأخرى ليمسك أنفاسه ويراقبها بدقة ، حتى استطاع أخر الامر ان يتسلل تماما من السرير .. وقف برهة على الأرض ساكنا لا يتحرك يشخص اليها بعين مستطلعة ليتأكد من استرسالها في النوم ، وفي نفس الوقت كان يتعرف على موضع اثاث الغرفة بدقة متناهية حتى لا يخطئه التقدير فيتخبط في مقعد أو منضدة ، وتعد الصبحة بذلك خطيئة . تقدم خطوتين انتظر بعدهما لحظة ثم تلاهما بخطوتين أخيرتين كان يتنقل في خفة الطير ولذا لم يسمع لوقع أقدامه صوت . مرت خمس دقائق استطاع بعدها أن يصل الى الباب ولكن في هذه الأونة سمع صريرا خافتا يصدر من السرير .. فجمد الدم في عروقه واطرق مذهولا . ولكن سرعان ما ادرك السبب وهو ان المرأة كانت تتقلب في فراشها وهي نائمة . ومع ذلك ظل ساكنا مدة ليست بالقصيرة حتى تأكد تماما أنها لاتزال نائمة . ويحذر بالغ أمسك بيده ساق البنات فرفعه برفق خارج الأصيص بينما دس يده الاخرى في داخله .. وما ان لمست أصابعه أوراق النقد القابعة في قاعه ، حتى ارتعدت أوصاله وكاد قلبه أن يقفز الى حلقه .. أطبق بيده عليها وأخرجها بسلام . وبسرعة اعاد النبات الى مكانه وضغط التراب بعناية حتى ساوى حافة الوعاء . وبعين يقظة ظل يرقب المرأة في مخدعها فراها ترقد ساكنة ، وعندئذ زحف بهدوء الى المقعد حيث توجد ملابسه . أسرع أولا بوضع النقود في جيب معطفه الداخلي ، ثم شرع في ارتداء ملابسه استغرق فيه نحو ربع ساعة تقريبا ذلك انه حرص الا يصدر عنه أدنى صوت .

وعلى الرغم من اضطرابه الشديد كان يحس شعورا بالارتياح والغبطة يغمر كيانه . أتم وضع ثيابه بسلام . أما الحذاء فقد آثر ان يلبسه خارج الحجرة حتى لا يحدث صوتا اذا مشى . فالتقطه بيده وتسلل بخفة متناهية حتى وصل الى الباب . عالجه بعناية فوجده موصدا أدار المفتاح بحذر ولكنه مع ذلك اسمعت منه صرير مسموع ، أفاقت المرأة على اثره من النوم وهبت مذعورة تجلس في الفراش وهي تصيح في هلع

ـ من هناك ؟!

تسمر بقولا في مكانه وقد تجمدت عضلاته ولكنه مع ذلك حاول أن يتماسك وأجابها على الفور بهدوء مصطنع

ـ أنا يا عزيزتي .. ان الساعة الآن

السادسة ، وعلى ان أعود الى صديقي كما تعلمين لأستعد للرحيل ـ لقد حاولت جهدي ألا أزعج نومك ..

قالت متبارمة :

ـ آه لقد سببت هذا الامر .. ثم ارتمت في الفراش من جديد .

وتابع بيقولا الحديث :

ـ أما وقد استيقظت بالفعل ، فلا ضرر اذن من أن البس حذائي هنا .

ثم جلس على حافة السرير وليس الحذاء ، وعندئذ تثاءبت المرأة بتكاسل وقالت :

ـ أرجو ألا تحدث صوتا وأنت تغادر الصدق حتى لا تزعج أحدا .. آه اني أشعر بميل كبير للنوم .

ـ اذن حاولي أن تواصلي نومك الآن .

ـ ولكن قبلني قبل أن تذهب ياعزيزي

وما قبلها وهم بالانصراف همست بصوت عطوف :

ـ يا لك من فتى لطيف ، وحبيب نادر المثال .. أتمنى لك سفرا موفقا سعيدا .

انصرف بيقولا ولكن لم تعد الطمأنينة الى نفسه الثائرة الا بعد أن غادر الصدق تماما ووجد نفسه في الطريق .. كان الفجر آنذاك قد اعتنق هالس الكون حلة باهرة .. وقف يتطلع الى السماء الصافية ، ويستقبل نسيم الفجر العليل يملأ به صدره ، ليستمد منه القوة والنشاط . وعلى مد البصر الفي فوارب الصيد وسفن النزهة تنتشر في صمت فوق صفحة النهر الساكن . واصل المسير بخطوات مترنحة فوق الهضبة وبين حدائق الرياحين .

كانت الأزهار الجميلة تظل مترقرقة فوق أغصانها ، وقطرات الندى الشفافة تترقرق على أوراقها فتزيدها رونقا وبهاء ـ حقا لقد كانت الطبيعة تبدو أجمل حليها فتأخذ بشغاف القلوب ـ وهكذا ظل حائما في تلك الحديقة الخالية حتى وصل الى صدقه وكان الوقت أول الصباح .

كان أول ما رأى ، السماة ، في زيهم التقليدي وهم منهمكون في تنظيف الشرفة الواسعة .

صعد الى غرفته واسرع يخلع ملابسه ثم عطس في حمام ساخن . أخذ يستعرض الاحداث القريبة المثيرة فعمرته موجة من السعادة والرضا ، ذلك انه لم يكن عبيا كما اعتقد بعض الناس .. ثم قام ببعض التمرينات الرياضية وارتدى ملابسه . وبعد أن حزم امتعته نزل لتناول طعام الافطار الذي تكون من ألوان شهية من الطعام كالحساء والبيض والفراص من لحم الخرير وشرائح السمك المشوي وقليل من الجبن ، وثلاث أقداح من القهوة ، التهمها جميعا التهاما ، ثم أشعل الغليون . الذي تعلم تدخينه حديثا . وبعد أن دفع الحساب خرج خارج الصدق فقفز في السيارة التي كانت تنتظره هناك لتقله وباقي المسافرين الى المطار . سلكت السيارة طريقا مرتفعا حتى مدينة « نيس » ، يمتد البحر من تحته في روعة وجلال . ثم انطلقت بعد ذلك في طريق طويل ممهد في مستوى سطح البحر .

كان جميع المسافرين يشعرون بسعادة غامرة . وقد ألغت صداقة الطريق بين قلوبهم .

استسلم « بيقولا » لمد الحوادث يعمره ، وتعاقبت أمامه ذكريات الاحداث الأخيرة .. وبعملية حسابية بسيطة أخذ يعد نقوده في محيلته . لقد دفع الحساب من النقود التي أخذها من والده وليس

من نقوده الخاصة التي ربحها في الليلة الماضية - وفي نادي « بيكر ستريت » انفق حوالي الف فرنك ثمنا للعشاء والشراب - أما الالف فرنك التي اقترضتها منه صديقته الخائنة ، فقد ردت اليه كاملة - اذن لا بد وأنه يحتفظ في جيبه الآن بمبلغ عشرين الف فرنك . تاقت نفسه أن يلقي عليه نظرة ليطمئن قلبه، ولم لا وقد تضاعفت قيمته بعد أن كان يفقد في تلك الليلة السوداء - ويبدد ملهوفة أخرج رزمة الاوراق المالية من جيبه واخذ يعد محتوياتها بدقة متناهية فاكتشف لدهشته البالغة ان المبلغ عبارة عن ستة وعشرين ورقة مالية ذات الالف فرنك وكان يجب أن يكون عشرين ورقة فقط ـ استولت عليه الحيرة واختلط عليه الأمر فأخذ يفكر .. ربما أخطأ العد ، اذن فليعده من جديد مئتي وثلاث بتريث وهدوء .. ولكنه تأكد اخيرا أنه لم يكن مخطئا في المرة الأولى .

اذن كيف أصبح مبلغ العشرين الف فرنك ، ستا وعشرين ألفا ومن أين له هذه الزيادة ؟ أيكون هذا هو حقيقة المبلغ الذي ربحه في نادي الجزيرة بالأمس . ولم يدر أمداك ، لفرط اضطرابه ... ولكن لا يمكن ان يكون ذلك أبدا ، فهو يتذكر تماما وبوضوح بين ان اقتراف وضع أمامه اوراق النقد في صفوف أربعة ، في كل صف خمس من الاوراق المالية ذات الالف فرنك . ثم انه يتذكر تماما كيف أعاد عدها عدة مرات ليتأكد أنه لم يخطىء ...

وفجأة ادركته فكرة خطرت له ما لمعض من الأمر . ذلك انه عندما رفع البنيات من الاصيص ودس يده في قاعه ،انتزع كل ما كان موجودا بداخله ، أي انه استولى على ماله بالاضافة الى مدخرات تلك المرأة العاشقة ... ولا غرابة في ذلك فلا شك انها اتخذت من الاصيص صندوقا تدخر فيه اموالها الخاصة .

اعتدل بيقولا في جلسته وانفجر ضاحكا .. يا لها من حادثة مثيرة حقا . واسترسل في ضحكه عندما تخيلها وقد استيقظت في الصباح فاسرعت الى الاصيص ترفع النبات لتتمتع بالنظر الى مشاهدة المال الذي استولت عليه بمهارتها ، ولكن تصدمها الصدمة عندما تبين انها قد فقدته بل وفقدت معه كل ما ادخرته من مال . وفجأة كف عن الضحك وأطرق يفكر في وجوم .. انه لا يعرف اسمها ، كما لا يعرف اسم الصدق الذي تقيم فيه .. وبذلك فلن يتمكن من رد مالها اليها ان هو رغب في ذلك ؟ ثم أخذ يتمتم

ـ لقد نالت جزاءها على أي حال !

كانت هذه القصة التي سرد جزءا كبيرا من حوادثها على أصدقائه وهم جلوس حول مائدة البريدج ، تماما كما سمعها من ولده في الليلة السابقة بعد ان عاد من « مونت كارلو » . وما ان وصل الى نهايتها حتى قال مطلقا والغضب يتطاير من عينيه

ـ ان ما يزعجني حقا ، هو أن أرى ابني وقد تغيرت أخلاقه فتملكه الزهو الرائف واستولى عليه الغرور القاتل وتشبث بصداقة هذه .. أتدرون يا اصدقائي ماذا حدث بعد أن حكى لي قصته ؟ لقد نظر الى بعينين تفيضان سهما السذاجة وقال

ـ لقد فكرت كثيرا يا أبت في صانعة البنيات التي أسديتها الى ليلة رحيل الى « مونت كارلو » ، وحاولت جهدي أن أقنع نفسي بصحتها وصدق فحواها كما عودتني دائما ، ولكني عجزت عن ادراك ذلك

بعد أن حدث ما حدث كما رأيت . من واقع قصتي . هل تذكر وصاياك تلك يا أبي ؟ لقـــد قلت لي ! لا تقامر .. وقامرت وحققت ربحا كبيرا .. ثم نصحتني لاتقرض مالا لأحد ، وأقرضت المال ، كما رأيت ، ولكن رد الي كاملا غير منقوص . واخيرا أوصيتني لاتقرب النساء ، وخالفت غير عامد فقرنهن وظفرت بستة آلاف قرنك !!

وما أن أتم هنري جاريت حديثه حتى انفجر رفاقه ضـــاحكين . فنظر اليهم عاتبا وقال

ـ لا شك انكم تسخرون مني ، ذلك ان الأمر لا يعنيكم في كثير أو قليل ولكني أؤكد لكم اني أصبحت في مركز حرج مهين . لقد كان الفتى من قبيـــل ينظر الى بعين الاجلال والاكبار ، يتحداني مثله الأعلى دائما ، ويثق في كل ما القيه عليه ، يتبع نصائحي ولا يحيد عنها . أما الآن .. واأسفاه ... فهو يراني بعين غير التي اعتاد أن يراني بهـــا !! نعم انه ينظر الي في شك ، تماما كما ينظر الى عجوز أحرف !! لقد حاولت اقناعه بشتى الطرق ، بأن ما حققه من كسب مادي ليس مرده الكفاءة أو القدرة كما توهم ؛ وانما هو مجرد صدفة وحظ سعيد حالفه في تلك المدة القصيرة ولكن مع الأسف فان الغـــلام يصر على رأيه الخاطىء وعقيدته الواهية . ولا شك أنه لا محالة هالك .

وبعد برهة عقب احـــد رفاقه على حديثه قائلا

ـ ماذا دهاك أيها العجوز الأحمق . ليس ما من ينكر وجود الحظ ، وسعداء الحظ في هـــذا العالم ، الذين يحققون نجاحا ملحوظا دون كبير جهد أو عناء

أجابه هنري على الفور

ـ لم يغب ذلك عني يا صـــديقي ، ولكني أومن بالعمل والاجتهاد والمثابرة قبل كل شيء ولا اعترف بالغرور الذي يؤدي بصاحبه ، ربما .. ليس من العدل ان يلعب القدر لعبة خيرة كتلك ، على مثل هذا الفتى اليافع

ثم عاد يسألهم في توسل

ـ ولكن بحق الســـماء الستم معي أيها الاصدقاء ان نصـــيحتي اليه كانت بحق صادقة أمينة ؟

ـ بلا شك ـ لقد صدقت فيما أوصيت به

وواصل هنري حديثه

ـ وكان حريا بذلك الفتى الغدر ان تحرق أصابعه ، طالما خالف النصيحة ولمس النار بيديه حتى يتعظ ويثوب الى رشده ؟ ولكن ما يؤلمني انه لم يحدث له شيء من هذا ثم صمت برهة وتابع الكلام بصوت فيه رنة الحزن

ـ لقد أدركتني الحيرة واعجزني الحيلة لذا أستطلعكم أن تشيروا علي بســـديد الرأي حتى أنجو من هذا الموقف الحرج . فقد تعلمتم جميعا من الحياة دروسا لم يدركها الكثيرون

نظر اليه الجميع واجمين وقال أحدهم وكان محاميا

ـ خفف عن نفسك يا صديقي ثق انني لو كنت مكانك لما أزعجني هـــذا الأمر أو أثار مشـــاعري . ان ذلك يا عزيزي ، انسان سعيد الحظ هـــذا في اعتقادي ـ وقد اثبتت تجارب الحيـــاة المتتابعة أنه من الأفضل أن يولد المرء والحظ معه فذلك خير من أن يولد ثريا أو أن يولد ذكيا .